

مدِينيات



د. محمد إبراهيم الديبسي

رسالة إلى أمير المدينة

تعدّ أسماء الشوارع والميادين في جميع المدن في دول العالم جزءاً من الهوية الثقافية والذاكرة التاريخية لهذه المدينة أو تلك، وتنطلق فلسفة تلك التسميات من وعي بمن صنعوا تاريخ المدن، وشيدوا هويتها الثقافية، وأقاموا كياناتها، وقيمة إسهامهم وأثره في مجالات الإدارة، والعلم والأدب، والتاريخ، والاقتصاد، والعمل الاجتماعي الوطني.

إبراهيم العياشي، ومحمد حسين زيدان، وضياء الدين رجب، وصالح الزغبى، وعبدالعزیز بن صالح، وعزیز ضياء، وعبيد وأمين مدني، وعبدالعزیز الريع، وحسن صيرفي، وأحمد بشناق، ومحمد العید الخطراوي، ومحمد هاشم رشيد.. وغير هؤلاء كثير.

والمفارقة هنا، أنّ ثمة ميادين وطرقاً في مدينتي الرياض وجدة تحمل أسماء أعلام مدنيين، في حين تخلو مدينتهم من أي ذكر لهم!.. بينما تغصّ شوارعها بأسماء شخصيات تاريخية؛ كالتابعين وتابعيهم، رضوان الله عليهم، ليس لأكثرهم أثر أو إسهام في تاريخ المدينة؛ فكراً وعلماً، أو تعليماً، ومنهم من كان على قدر من التقوى والعلم والورع، ولكن ليس من تسمية الشوارع بأسمائهم من الحكمة في شيء!.. وهم خارج سياق المدينة الثقافي الوطني، الذي تعدّ أسماء الشوارع مظهراً من مظاهره.

فما قام به جلّ من ذكرت أسماءهم من الأعلام المعاصرين للمدينة المنورة تحديداً يفوق ما قام به الكثير من تلك الشخصيات التاريخية الذين خلّدتهم أعمالهم الأخرى، التي هي لأنفسهم أولاً، أو لعامة المسلمين، ولا تخص المدينة المنورة فقط.

وأنا أتحدث هنا عن هوية وذاكرة وطنية، وثقافة بصرية متاحة للمواطن والمقيم والزائر والعاشر، الذين تستدعي الأسماء في أذهانهم مخزوناً ثقافياً متراكماً. والموضوع برمته له صلة بتكوين الأجيال بعد الأجيال من آبائنا وأبنائنا، وله صلة بحفاوة رمزية مستحقة لأولئك الأعلام الأفاضل. وإنني على ثقة بأن يجد هذا الموضوع الثقافي المهم الاهتمام الذي عهدناه من سموكم، حفظكم الله، وسدّد على طريق الخير خطاكم.

أنه لا يوجد شارع رئيسي واحد في المدينة يحمل اسم أحد من أولئك الأعلام!..؟

ففي المجال الإداري والحكم المحلي، كان إبراهيم السبهان أميراً على المدينة في عهد الملك عبدالعزيز.

وفي المجال العلمي والمعرفي، كان الشيخ ألفا هاشم، والشيخ محمد الطيب الأنصاري من أجل علماء المدينة والمدرّسين في مسجدها الشريف، ومن مستشاري الملك عبدالعزيز في القضايا الشرعية. وفي المجال التعليمي، كان الشيخ عبدالقادر شلبي معتمداً للمعارف في عهد الملك عبدالعزيز، وكلفه الملك المؤسس بتجديد الخطوط المكتوبة في الجدار القبلي للمسجد النبوي الشريف، وكلفه برئاسة هيئة التنقيب عن الآثار في المملكة، وخلفه في معتمدية المعارف الشيخ محمد سعيد دفتدار. وكذا كان الشيخ عبدالعزيز بن باز رئيساً لأول جامعة في المدينة، والشيخ محمد العبودي أول موظف فيها، وأنّس الشيخ أحمد الفيض أبدي أول مؤسسة تعليمية خيرية ذات منهج تعليمي رصين؛ تخرّج فيها العلماء والوزراء والأدباء.

وفي المجال الصحفي، أسّس الشقيقان الأدبيان علي وعثمان حافظ صحيفة المدينة المنورة في المدينة المنورة، وبدأت بالصدور من جوار المسجد الشريف، ثم أسّس عبدالقدوس الأنصاري أول مجلة أدبية سعودية، وبدأت بالصدور من المدينة المنورة. وفي مجال العمل الاجتماعي والاقتصادي الوطني، يشهد تاريخ المدينة للأخوين عبدالعزيز ومحمد الخريجي بجليل الأعمال والمبادرات وكريمها. وهناك غيرهم كثير؛ ممن قضى زهرة حياته في خدمة أكثر من شأن من شؤونها، في الشريعة والتعليم والتاريخ والفكر والأدب والصحافة؛ من أمثال: الشريف

والمدينة المنورة إحدى الحواضر الإسلامية والعربية ذات الجذور الضاربة في أعماق التاريخ، وذات المكانة العظمى في وجدان أهلها وساكنيها، وفي وجدان المسلمين في كل أنحاء العالم، وقد مرّ عليها عبر تاريخها الطويل دول وعهود، حتى آل الحكم فيها للملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- ودولته السنية، فشهدت في العهد الميمون نهضتها التنموية المباركة، وتعهّدها الملوك الكرام من أبناء الملك المؤسس بالعناية والرعاية والاهتمام، حتى صارت في المظهر الذي نشاهدها عليه اليوم؛ ورشة عمل كبرى، ومحط نهضة تتوالد تباشيرها ومنجزاتها يوماً بعد يوم.

وترك أولئك الكرام للإدارة الداخلية في المدينة من إمارة وأمانة وهيئة تطوير تنفيذ الرؤى والخطط الاستراتيجية التي من شأنها دعم منظومة البناء والتشييد والتطوير.

ومن مفردات تلك المنظومة وأجزائها المهمة ذات البعد الثقافي البصري تسمية الشوارع والميادين في المدينة المنورة. وفي هذا السياق، نجد أنّ الجهة المعنية بهذا الأمر قد أحسنت وأصابت عندما سمّت الطرق والميادين المحورية بأسماء قادة هذه البلاد اعترافاً بجهودهم العظيمة، وتعبيراً رمزياً عمّا يستحقونه من الإجلال والتقدير. وحيث مرّ على هذه البلدة الطاهرة عشرات الرجال المخلصين من صنّاع التاريخ والمعرفة وسدنة العلم والتنوير فيها، وانتهاوا إلى رحمة الله ورضوانه. ولكلّ منهم أثر مشهود محمود في سجلّ تاريخها، أفلا يستحقون أن تبقى أسماؤهم شواهد على شوارعها وميادينها!..، التي هي جزء من هويتها البصرية وذاكرتها الوطنية، أقول: الهوية الوطنية السعودية، التي هي الأسمى والأبقى. فالعجيب -يا صاحب السمو-

